#فوائد_المنهج_الحركي_للسيرة

١- "وبذلك يفقه الدعاة درسا خطيرا:

هو أن الوحدانية والرسالة هما محور أي دعوة مع العدو، ولا يمكن أن يكون أي لقاء فكري دونهما.

كما يفقهون أن عالمية الدعوة فوق المساومات". (ص: ٤٨)

*****

٢- مما يحسن أن تنتبه إليه الحركة الإسلامية أن لا تضع كل طاقاتها البشرية والمادية في أرض واحدة.

"المنهج الحركي للسيرة".

والحمد لله الحركات الإسلامية عمرها ما عملت كدا وبترجع الحكومات تسرقنا ونرجع نبدأ من الصفر.

لماذا..؟

لأنهم أصلا لا يتخذونهم أعداء .. فيعدوا عدة الحرب ويهيئوا أعضائهم لها ماديا ومعنويا.

وإنما هي مشاركة سياسية وتغيير سلمي.

بينما الطرف الآخر عاقل لبيب يعتبرها حربا وهي والله كذلك.

*****

٣- يقول الكاتب (ص:٧٠):

واستفادة بعض الدعاة من ضابط كبير في الجيش أو المخابرات أو وزير متنفذ في الدولة لا ينقص من عقيدة الداعية ومن دينه شيئا.

قلت: والله إن قدر على ذلك مع الحفاظ على دينه فلا بأس .. لكن أين ذا؟!

المشكلة أن ذلك الجوار والحماية لا يحدث عمليا وفي الواقع إلا بتنازلات وسلسلة طويلة من التمييع يقدمها الداعية عن طيب نفس لكي يتركوه يتكلم أو يخرج في قناة مثلا.

وما قضية محمد حسان وانتكاسه بسبب حرصه على الظهور في القنوات عنا ببعيد، لا أحصره في هذا السبب لكنه كبير ولا شك، والظهور لابد له من تصريح أمني كما هو معروف، ومع التصاريح يأتي التعليق والتنبيه: قل ولا تقل.

الرجل كان لا يفتأ يغازل وزير الإعلام أنس الفقي وكذلك أسامة سرايا وحبيب العادلي بل وحتى مبارك، وكان لا يكف عن التصريح بأنه مستعد لتقديم محاضرات في التلفزيون المصري الرسمي.

وقيل أن إحدى زوجاته بنت ضابط مخابرات كبير.

للأسف لم يحدث أن رأينا داعية يستعين بجوار ركن من أركان النظام وسلم له دينه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أتى أبواب السلاطين افتتن. وقال: من ذاق مرقة السلطان التوى لسانه عن الحق، والذين يأكلون من موائد السلاطين شاهدنا بأعيننا التواء ألسنتهم عن الحق.

وهناك مسألة مشابهة تفريعا على أحكام الاستفادة من قوانين المجتمع المشرك – الحماية والجوار:

هل يصح اعتبار أردوغان هو القائم بدور أبي طالب أو النجاشي في العصر الحديث، كما يقوله غير واحد من الإسلاميين الآن..؟!

هل يسمح السيد رجب طيب مثلا بسب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وعيب دينهم علنا .. والذي ترجمته طبعا الدعوة لإقامة الشريعة في تركيا ونبذ العلمنة والقانون الدولي ومؤسسات النظام العالمي..؟!

بالطبع لا.

فلا ينبغي المزايدة بهذا واعتباره بطلا عظيما أو تشبيهها بمملكة صلاح الدين، يكفينا توصيف الواقع كما هو بلا زيادة أو نقصان، ولا يمنعنا هذا من الاستفادة من هذا الجوار وتكوين الشباب هناك لمجموعات متينة الأواصر، وتحقيق أقصى قدر من الانتفاع بهذا الواقع في تركيا، كما حدث قديما في باكستان إبان الحرب الأفغانية السوفييتية.

ما يفعله أردوغان يشبه جوار ابن الدغنة أو الدثنة مع أبي بكر، ولا يشبه حماية أبي طالب لرسول الله.

جوار ابن الدغنة: ارجع واعبد ربك ببلدك.

حماية أبي طالب: اذهب وقل ما أحببت.

الأول حماية لحرية العبادة، بينما الثاني حماية للدعوة.

يعني بالبلدي كده: اعبدوا ربنا في تركيا، وملكوش علاقة بأي حاجة تانية، ولا تنكروا منكرا ولا تأمروا بمعروف إلا ما وافق هوى الدولة التركية؛ كفتح قنوات مشاغبة للنظام المصري وما إلى ذلك .. وإلا فيمكن للنظام أن يسلم من شاء كما فعل مع الشاب المصري المغدور به وغيره.

لا يمكن مقارنة أردوغان بأبي طالب بأي حال من الأحوال.

*****

٤- بالنسبة لحرق نخيل بني النضير

فقد اختلف الناس في تخريب دار العدو وتحريقها وقطع ثمارها على قولين:

الأول: أن ذلك جائز، وهو قول جماهير أهل العلم كما ذكر الحافظ في الفتح.

الثاني: التفصيل فإن علم المسلمون أن ذلك لهم لم يفعلوا، وإن يئسوا فعلوا، قاله مالك في الواضحة.

والصحيح الأول وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخل بني النضير له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا عنها.

وإتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعا، مقصودة عقلا.

وهذه المسألة تشبه مسألة منع قتل النساء والأطفال؛ فقد ثبت من حديث الصعب بن جثامة عند غير واحد من أصحاب السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هم منهم.

قال الشافعي: معنى قوله (هم منهم) أي ليس لهم حكم الإيمان الذي يمنع الدم، ولا حكم دار الإيمان الذي يمنع الغارة.

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون في نعمهم، فقتل المقاتلة وسبى الذرية.

فإذا جمعت بين الأحاديث تبين لك أن النهي عن قتل النساء والأطفال أي بالتقصد لقتلهم، أما إذا كان قتلهم بالتبع كحال البيات والإغارة عند عدم التمكن من تمييزهم فلا بأس.

وقد بوب البيهقي في السنن الكبرى على حديث الصعب بن جثامة بقوله (باب قتل النساء والصبيان في التبييت والغارة من غير قصد).

فكذلك مسألة حرق بلاد العدو.

فعند أحمد في المسند وأبي داود وابن ماجة في سننهما من حديث أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى أرض يقال لها أبنى فقال: ائتها صباحا ثم حرّق.

وبوب البخاري في صحيحه على حديث حرق نخيل بني النضير (باب حرق الدور والنخيل).

وقال الترمذي في سننه بعد إيراده للحديث:

وهذا حديث حسن صحيح، وقد ذهب قوم من أهل العلم إلى هذا، ولم يروا بأسا بقطع الأشجار وتخريب الحصون، وكره بعضهم ذلك، وهو قول الأوزاعي، قال الأوزاعي: ونهى أبو بكر الصديق أن يقطع شجرا مثمرا، أو يخرب عامرا، وعمل بذلك المسلمون بعده، وقال الشافعي: لا بأس بالتحريق في أرض العدو وقطع الأشجار والثمار، وقال أحمد: وقد تكون في مواضع لا يجدون منه بدا، فأما بالعبث، فلا تحرق، وقال إسحاق: التحريق سنة إذا كان أنكى فيهم.

وقد ناقش الشافعي كلام الأوزاعي بالمنع في كتاب "الأم" تفصيلا.

وأجاب الطبري عن كلام أبي بكر بأن نهيه أي عن القصد لذلك بخلاف ما أصابوا خلال القتال، قال الحافظ: وهو نحو ما أجاب به عن قتل النساء والصبيان، وهو تفريق الجمهور أيضا.

وقال الشافعي: إنما نهى أبو بكر عن ذلك لأنه علم أن هذه البلاد ستفتح؛ فأراد استبقاءها على المسلمين، لا أنه رآه محرما؛ لأنه حضر مع النبي تحريق بني النضير وخيبر والطائف.

قال العيني في شرحه على البخاري:

للمسلمين أن يكيدوا عدوهم بكل ما فيه تضعيف شوكتهم وتوهين كيدهم وتسهيل الوصول إلى الظفر بهم من قطع ثمارهم وتغوير مياههم والتضييق عليهم بالحصار.

*****

٥- قضية إلزامية المنهج الحركي التي طرحها الكاتب بمعنى: تنظيم سري ثم استعلان ثم مواجهة = غير ملزم بهذا الشكل.

قد تقوم الحركة لدفع الصائل ورفع المظالم فقط، يعني حركة حسبة فقط، مثل المرابطين في أول أمرهم وكذلك الموحدين: حركات حسبة تحولت لشوكة وسلطة ودولة فيما بعد.

ومثلهم طالبان أيضا.

الجماعة الإسلامية في مصر كانت جماعة حسبة لكنها لم تستطع تطوير خطابها وهيكلتها لتتحول لطلب السلطة وامتلاك أدواتها.

قد تبدأ الحركة من المواجهة كالثورات المسلحة الليبية والسورية، وقد تبدأ من إعلان الدعوة وتتجاوز المرحلة الأولى كبعض الحركات السلفية، حسب الظرف الراهن ومدى قوة النظام وسيطرته وهل هناك داعمون في الوسط الجاهلي أو ذوو نفوذ من الوسط الإسلامي إلخ العوامل المتشابكة.

المهم .. هذا الأمر مرن، وليس بهذه الحدية.

*****

٦- تعليقا على قول الكاتب (ص: ١٠٩) عن القيادات أنها أدرى بملابسات الحرب:

من الكوارث في تجاربنا الإسلامية الزعم بأن القيادات أدرى بملابسات الحرب السياسية، وأدرى بطبيعة التعامل مع العدو، وهي صاحبة الحق في هذا الأمر، وعلى القواعد الالتزام بخطها السياسي = للأسف هذه النغمة التي ضربت كل الجماعات الإسلامية، السياسي منها والقتالي على السواء.

القيادة أدرى .. الكبار أعرف .. إخواننا اللي فوق مظبطين كل حاجة.

أولا: قضية أن فلانا هذا هو القائد أصلا تحتاج لوقفة: كيف وصل وما هي مؤهلاته وما هي آلية الجماعة في تصعيد القيادات.

وهذه نقطة محورية مفصلية في تاريخ الحركة وسببت كوارث، فالرجل في الجماعات يقيم ببلاء تعرض له أو بطول عمره أو يرشح بانتخابات عشوائية لا تفرز إلا بأصوات عمياء.

ثانيا: هل معنى أنه قائد وأنهم قيادات أن تهمل القواعد والشباب الصغير نهائيا، ولا يؤخذ برأيهم ولا يستشارون، ولا يربون على تحمل المسئولية، وأن تتخذ كل القرارات دونهم، مع كونهم يتحملون تبعة القسم الأكبر من النتيجة..؟

ثالثا: إذا خالفت القيادة ما تربي عليه القواعد لعشرات السنين ألا يحق مساءلتها والاستفسار عن هذا التحول، بل وإنكاره إن كان خطأ أو انحرافا، أم أن القرار أصبح نافذا لا معقب عليه لكونه خرج ممن هو "أدرى" كما يزعمون.

أين النقد الذاتي الذي يسطرون عنه في الكتب كلاما كبيرا كثيرا، ثم لا أثر له في الواقع؟

رابعا: أثبت الواقع في عشرات التجارب بما لا يدع مجالا للشك أن هذه النغمة قاتلة، تصيب الجماعة بالشلل، وتقضي على الآراء المبدعة في مهدها، وتحول الأعضاء لجنود عميان ينتظرون تنفيذ الأوامر فقط، وتحولها مع الوقت وبسبب تراكم كل هذه الكوارث لسرير الموت الإكلينكي في انتظار الدفن.

خامسا: لو نظرنا للنموذج الأسمى لنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير القواعد ويأخذ برأيها وينزل عليه دون رأيه.

بل ويقول: ليرفع لنا عرفاؤكم، يعني كونوا مجموعات هرمية ووصلوا لي رأيكم كويس وبوضوح.

بالإضافة إلى أن الحاصل الواقعي والكارثي أن القيادة مسئولة عن جهل القواعد المعرفي وفقرها الحركي، محدش يعرف الخطة إلا اللي فوق، إذا افترضنا ان هناك خطة.

الحزب الشيوعي الفيتنامي مكنش فارق معاه اعتقال القيادة كلها أو قتلها، لأن كل جندي تشرب الدرس العقائدي والعسكري الصيني، ويعرف لا الخطوط العامة فقط بل أكثر تفاصيل الطريق وعقباته.

أما هنا فحسرة علينا وا أسفا لنا ولجماعاتنا.

الحاصل ان مفيش منهج ولا خطة بل منطق اللحظة بلحظتها، ولو في فعلا ونتمنى يكون في فعلا عند أي حد في أي مكان على الكوكب، فيجب تشرب القواعد له شيئا فشيئا، حتى يتحول الجنود لقادة مع الوقت.

وأخيرا الثقة والتسليم تكون في الخط العريض الواحد.

لكن مثلا الإخوان في الأردن كانوا يوجبون على العضو اعتقاد كفر الملك حسين، ثم بعد أن تشرب الأعضاء ذلك وتغير موقف القيادة أوجبوا عليهم اعتقاد عدم كفر الملك حسين وأنه مسلم.

هنا كيف يطلب من العضو التسليم ونفي التشكك في سلامة عقول أو أديان القيادة.

مهو حاجة من اتنين: يا دول متخلفين يا متلاعبين بالدين.

أو مثلا في سوريا – حماة يطلب من قواعد الإخوان مقاتلة حزب البعث وحافظ الأسد، ولما فشلت الثورة طلب منهم التحالف مع رفعت الأسد وهما سواء.

منخوليا .. التاريخ المعاصر للجماعات الإسلامية من درسه بحق فقد عقله حرفيا.

*****

٧- بمناسبة مفاوضات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قبائل العرب وخاصة مع بني شيبان .. وبعد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم التنازل عن أي محور عقدي أو حتى أن يجعل الأمر من بعده لقبيلة ما = طرح الشيخ في الكتاب (ص: ١٤٩) سؤالا:

هل من حق الحركة الإسلامية أن توقع على تحالف بأن يكون الحكم ديموقراطيا..؟!

وأجاب إجابة مقبولة جيدة جدا ملخصها الرفض، لكن أهم أسباب الرفض والتي لا أدري لم أغفلها: أن الإسلام لا يقبل الشركة، ولا يجوز فرض مرجعية نهائية أخرى يحتكم إليها المسلمون، بل هذا هو الكفر بعينه.

هذا الكتاب كتب في ١٩٩٠ كما هو معروف، وقد تغير هذا المفهوم بالطبع في جماعة الإخوان وأصبح من صلب عقائدها: قبول الديموقراطية والاحتكام إليها.

ثم طرح الشيخ سؤالا آخر:

هل من حق الحركة الإسلامية أن توقع على تحالف بقيام حكومة مؤقتة ومؤتلفة؟!

و لم يجب الشيخ.

وهو مثل سابقه، ما هي مرجعية التحالف النهائية؟

إن كانت الإسلام فجائز، لكننا لم نر أحدا من العلمانيين الذين يقصدهم الشيخ بالتحالف ارتضى هذا الأمر أبدا، لأنه ينقض علمانيته ويقوضها.

وقد تحالف الإخوان في مصر في انتخابات ٨٧ مع حزب العمل، وبالطبع لم تكن المرجعية هي الإسلام، ولو كانوا وصلوا للحكم لكونوا حكومة ائتلافية مرجعيتها علمانية، تحتكم للدستور الجاهلي والقانون الوضعي، فأين هذا من شرع الله ودينه..؟!

*****

٨- مع المعلم الثاني من معالم العهد المكي:

البلاء

حين يسمع أهل الحق أذى أهل الباطل ثم لا يجدون النصير ولا المانع.

وحين لا يجدون القوة على مواجهة الطغيان.

وحين ترى فتنة الأهل والأحباء الذين تخشى عليهم الأذى ولا تملك لهم دفعا .. وهم يهتفون بك أن تستسلم.

وحين تقبل الدنيا على أهل الرذيلة والشهوات والدول الكافرة المترفة .. وأنت مهمل منكر لا يسمع بك أحد ولا يحامي عنك مخلوق.. فتنة الغربة والوحشة والانقطاع.

وحين يصعب على النفس الانقياد والاستقامة على الصراط .. مع المعوقات والمثبطات وملابسات الحياة ومنطق البيئة وتصورات أهل الزمان.

وحين يبطء النصر .. ويطول الأمد.

وهناك أيضا فتنة النفس والشهوة وجاذبية الأرض وثقلة اللحم والروح والرغبة في المتاع والدعة والاطمئنان.

إنها الفتنة .. إنه البلاء ..

إنه المعلم الثاني من معالم العهد المكي، وما لاقته الجماعة المسلمة في سبيل الدعوة.

*****

٩- الرسول صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم

الكلام عن وجوب تواصل القائد مع جنوده ومدهم بالزاد واللقاء المنظم المستمر من أهم ما يكون ..

وفي كتاب الفاروقي "التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة" في فصل الأسرة: كلام مشابه عن وجوب تكوين مجال من الأسر يتزاورون ويأكلون ويتحدثون في شأن دينهم ويدفئ بعضهم بعضا عاطفيا ومعرفيا قدر الإمكان.

تواصل مع القائد = رأسي.

تواصل القواعد مع بعضهم = أفقي.

هذا هو الركن الثاني من أركان الثبات وهو العلاقات العاطفية بأهل التوحيد.

والركن الأول للثبات هو الجانب العقلي والمعرفي.

والحركة بهما ولهما وفي سبيل تحصيلهما واجب على كل مسلم، والمستكثر مستكثر من الخير.

*****

١٠- في (ص: ٣٣) تعرض الكاتب للأفراد الذين يقومون بدور سري في التنظيمات أو التجمعات المعادية.

مؤمن آل فرعون هذا له شروط:

منها أن تبتعثه حركة إسلامية أو جماعة أو تنظيم ينتمي إليه، ويتابعه ويزوده ويشحنه إيمانيا باستمرار.

ويكون اختيارا قائما على صفات معينة في الشخص المبتعث، كصلابة الإيمان وقوة الشخصية والخبرة والبصيرة إلخ.

كما أنه لا يمكن أن يفعل الكفر أو الزنا أو شرب الخمر بحجة التخفي أو التجسس وعدم كشف نفسه؛ حتى يطول به العهد ويتآلف مع هذه المنكرات ويذوب فيها وبسببها.

لأن الذي حصل كثيرا أن ذاب ذاك الشخص في المجتمع الجاهلي أو المختلط وتلاشى هذا المؤمن الخفي .. حصل مرارا:

جماعة ترسل شخصا لجمع تبرعات من مسلمي أوروبا؛ فيفتنه بهرج الحياة وحلاوتها وينتكس ويأخذ المال ويهرب.

ولذلك اقترح بعضهم تبديل هذا الشخص كل ستة أشهر بغيره قبل أن يألف الحياة هناك.

وبعضهم يقول كل ٤ أشهر .. بغض النظر، الفترة يمكن بحثها، لكن المبدأ هو الأهم.

الرجل المبتعث لعمل في بيئة جاهلية يجب أخذ كل الاحتياطات اللازمة حتى لا ينزلق منا ويتحول لصف عدونا.

جماعة ترسل أشخاصا لتعلم العلم الشرعي عند شيوخ الأنظمة؛ فيقتنع بحججهم ويتحول لمدخلي قذر يرد على جماعته السابقة ويدافع عن النظام الذي خرج أول مرة لمجابهته.

جماعة تدخل أحد أبنائها للجيش؛ فيتحول لضابط مخلص للنظام ولقائد سريته ويذوب فيهم.

*****

١١- مدح الشيخ الكاتب للديموقراطية كما في (ص: ٧٤) وأنها وإن كانت نظاما جاهليا؛ لكنها خير وأجدى على المسلمين من كل نظام آخر = هو نفس كلام الإخوان الآن لكن في طور أقدم .. لم يعد أحد من الإخوان حاليا يوصفها بأنها نظام جاهلي مضاد للإسلام، هذه فترة مضت إلى غير رجعة، بل أصبح الإسلام -ويااللاكتشاف المذهل- ديموقراطيا أصلا ومنذ نشأته !

وغير صحيح بالطبع أن الديموقراطية تسمح بحرية الدعوة كما يزعم .. كيف تسمح بالدعوة لشريعة تنقضها وتنبذها وترد عليها وتهدمها..؟! هذا ما لا يمكن أن يكون في أعتى ديموقراطيات العالم.

وهل تسمح الديموقراطية بحرية الدعوة للجهاد ودفع الصائل مثلا؟!

أما حرية العبادة فما أهون شأنها .. يمكنهم السماح ببعضها.

قد تسمح بحرية بعض العبادات، أما الدعوة الحقة لدين الله الحق المتكامل فلا يمكن.

ممكن استغلال ثغرات الأنظمة الجاهلية نعم، أما كونها ستفضي للتمكين فوهم طويل عريض.

والردود على كلام الكاتب هنا قد غصت به المكتبة الإسلامية.

*****

١٢- قضية جهرية الدعوة في مكة مع الصبر على أذى المشركين وكف اليد عن مقاومتهم المسلحة = قد أحدثت خلطا كبيرا عند قومنا، واستخدمت ووظفت توظيفا سيئا؛ حتى سبوا وشتموا كل مقاومة لدفع الصائل، وكل متصد للظلم والشر والفساد واتهموهم في دينهم.

لو افترضنا أننا في مرحلة مكية، وأن هذه الجموع الغفيرة والسيول الهادرة من الطاقات والشباب والأموال لا قيمة لها.

فلماذا لا تجهرون علنا بما عليه الأنظمة من علمنة وكفر وحرب للشريعة..؟!

ولماذا لا تدعون النصارى دعوة عامة -لا فردية شخصية بجهود بعضهم- للدخول في الإسلام وترك الشرك والتثليث..؟!

أم أن هذا البلاغ مناف للوحدة الوطنية ومدمر للنسيج القومي؟ وأنتم ما شاء الله خير من يحفظ النسيج ويحوطه؟!

رضينا منكم بهذا المقدار إن كنتم صادقين مع أنفسكم.

أليس هذا هو البلاغ الشرعي المحتم وتسفيه آلهتهم من القانون الوضعي ومؤسسات العهر والحداثة والرد على المشركين كالنصارى وغيرهم..؟!

كفوا أيديكم لكن اجهروا بدعوتكم وتوحيدكم .. رضينا بهذا فقط.

- وهذا الحديث حجة في قضية العهد المكي والإنكار باليد واستخدام القوة، ويجب ذكره وذكر أمثاله في كل كتاب سيرة:

روى أحمد في مسنده بسند صحيح عن علي بن أبي طالب قال:

انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة، فقال لي نبي الله صلى الله عليه وسلم: اجلس، وصعد على منكبي؛ فنفضته، فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: اصعد على منكبي. قال: فنهض بي نبي الله صلى الله عليه وسلم، وإنه ليخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تماثيل صفر أو نحاس؛ فجعلت أزاوله يمينا وشمالا ومن بين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقذف به، فقذفت به؛ فتكسر كما تكسر القوارير ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق، حتى توارينا بالبيوت؛ خشية أن يلقانا أحد من الناس.

*****

١٣- من صفحة (١٦٩ إلى ١٧٢) كلام هام جدا جدا عن عقيدية الصراع، تأخذه غضا طريا من فم الأنصار رضي الله عنهم.

وددت لو سمعه ووعاه وتمثله كل مسلم على وجه الأرض.

*****

١٤- يقول الشيخ (ص: ٨٧):

بل قد تقتضي الظروف السياسية والاجتماعية والدولية أن يكون الوصول للحكم من خلال مؤسسات دستورية عن طريق الحرية والانتخابات.

قلت:

هذا هراء، لا يمكن ذلك أبدا، لا يسلم نظام رقبته لأحد طوعا، ولا يؤخذ الملك إلا نزعا، ولم يحصل في تاريخ العالم قط أن وصل أحد للحكم في نظام مضاد له بالكلية من هذا الطريق.

هذه الأوهام للأسف عششت وفرخت في عقول الحركة الإسلامية، وأنتجت عقودا من القهر والذل؛ لأننا ضللنا طريق التمكين.

يقول سيف العدل في تحليله للثورة المصرية وتجربة رئاسة د. مرسي في كتابه "الصراع ورياح التغيير:"

لا تسقط الأنظمة بالعمل السياسي الذي يضعه النظام (الانتخابات البرلمانات)، هذه ليست سبل تغيير، هذه سبل تعبير.

العمل السياسي يضمن تبادل السلطة في إطار نظام وفلسفة عقدية واحدة.

أما في حالة العمل لإحلال نظام محل آخر، وبمعنى آخر عقيدة محل أخرى، فلابد من وسيلة تغيير، ولا يمكن تغيير الأنظمة بدون دماء، تزيد وتنقص بحسب شراسة النظام الحاكم في الدفاع عن نفسه، وخطط المقاومة والخداع التي يدافع بها.

وقال أيضا:

ليس هناك سابقة في التاريخ تفيد بأن نظاما له رؤيته العقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل بطيب خاطر أن يتنازل عن الحكم لنظام له رؤية مناقضة.

كما لا توجد سابقة ولا يعقل أن توجد في إدارة الدول أن يتم تغيير نظرية الحكم كل أربع سنوات مع كل انتخابات جديدة: أربع سنوات ليبرالية، ثم أربع شمولية، ثم أربع اشتراكية، ثم أربع إسلامية.

هذه ليس دولة ولا حضارة، هذا كلام فارغ، في أمريكا مثلا ما الذي يحدث عندما يتسلم حزب من آخر؟ لا شيء، فهذا ليس تغييرا، هذه إدارة للدولة ولكن باستراتيجية مختلفة أو تكتيك مغاير، وكلاهما نابع من منهج حضاري واحد.

انتهى

للأسف الشيخ يعرض منهجا مختلطا، بين ما تعلمه من قطب والنظر في الواقع (الثورات المعاصرة) وأحداث السيرة الجهادية ومسلك الرسول في بناء الدولة وإخضاع الأعداء من جانب، وما شرعت الجماعة في التحول إليه تدريجيا من بعد محنة ناصر، توجت تلك الفترة بدخول انتخابات أوائل الثمانينات وإغراق الجماعة بمنهج القرضاوي والغنوشي والترابي المتلبرل من جانب آخر.

الكتاب به هذا الخليط العجيب .. فلا عجب لذاك التعليق أعلاه.

هو لا يجزم بأحد الطريقين بل متردد بينهما، وإن كان في هذا الكتاب بحكم كونه تعليقا على السيرة النبوية يركز على الطريق الجذري.

*****

١٥- عن دالية أبي طالب وأمثالها

الفصل الذي عقده الشيخ للأشعار التي قيلت على مدار الغزوات جيد للغاية مع اختصاره.

ولو أردت المزيد فارجع إلى "الروض الأنف" للسهيلي الذي شرح فيه سيرة ابن هشام.

والأشعار عموما تكمل لك صورة الحدث في هذه البيئة التي تقيم له أكبر وزن، وتعتبره أمضى سلاح، يكافئ وزارة الإعلام في عصرنا.

أذكر أنني لما قرأت ديوان الردة وما قيل في حروبها من تناطح شعراء الإسلام وشعراء الكفر = ازددت وعيا بالحدث ككل وفهمت كثيرا مما كان خافيا، وكثيرا ما تغفل المصادر هذه الأشعار فتحتاج إلى جمع من عدة مراجع لتكون صورة صالحة مستوعبة.

وكذلك ديوان أبي طالب لمزيد فهم ووعي بالفترة المكية وما حصل فيها.

*****

١٦- لكل أمة نشيد، ونشيدنا نحن الأمة المسلمة سورة الأنفال.

"المنهج الحركي للسيرة."

قلت:

سورة الأنفال هي سورة القتال وسورة الغنائم .. وكانت تتلى على مر العصور قبل المعارك وانظر في تاريخ المسلمين تجد ذلك أمرا مكرورا.

ففيها من جمل مفاهيم القتال والجهاد وأصول وركائز التصور الإسلامي وسنن النصر والهزيمة والدعوة للثبات والاستعداد والحذر من معوقات الدنيا وتوضيح معالم العقيدة وتنظيم أحكام السلم والحرب وهي - مع التوبة- عمدة الفقهاء في أبواب السير والمغازي والمعاهدات والمواثيق (العلاقات الدولية في الإسلام).

*****

١٧- حول محاولة رسول الله الثأر لأصحاب الرجيع (خيرة القراء) من بني لحيان الذين غدروا بهم .. يقول الشيخ:

إن طبيعة الحرب لا تقبل التضحيات فقط، ولا تقبل الخسارة من جانب واحد.

بل لابد أن يشعر الجندي المسلم بقيمته عند قيادته، وكرامة دمه عند جماعته.

فهناك من يثأر له، وهناك من يدافع عنه.

لو علقت على هذا المقطع لربما جرى القلم بما لا أحب، فاكتفيت بنقله وكتم غيظي.

*****

١٨- إذ أنّ الناس قلّما يصغون إلى غير القـــوي.

*****

١٩- والثورة التي تقوم وتعتمد في رصيدها على الرديف من الدول الأخرى لن يُكتب لها النجاح.

*****

٢٠- تحليل الكاتب لما حاق بيهود بني قينقاع ثم النضير ثم قريظة، وتنزيله على الواقع في الصراع مع الصهاينة=

جيد جدا.

*****

٢١- ذكر الشيخ (ص: ٢٧٠) وما بعدها حادثة زيد بن أرقم ونقله لرسول الله صلى الله عليه وسلم قول أبي بن سلول: ليخرجن الأعز منها الأذل.

فاستدل منها على أنه يجب على الجندي أن ينقل لقادته كلام من يطعن في القيادة ويخلخل الصف؛ ليتخذوا معه موقفا.

وهنا أمور يجب التنبه لها:

الأصل أن خلخلة الصف لأجل أعداء الإسلام = جريمة منكرة، ولابد من تبليغ القيادة كلام أي عضو يميل بقلبه ناحية الأنظمة أو يرى معها الحق في شيء أو يصوب موقفها في قضية مفصلية.

فهذه نقرة .. وقضية الاعتراض على القيادة في الأسلوب أو تجويد العمل أو طرح رؤية جديدة = نقرة أخرى.

فرق بين الحالتين.

المشكلة أنه كثيرا ما ينزل الشيخ الكاتب قيادة الإخوان أو حتى قيادة الحركة الإسلامية منزلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو منزلة الإسلام، في مواجهة الجاهلية الصرفة، ويحدث من ذلك خلط كبير وفساد عظيم.

هذا التماهي بين الجماعة والإسلام يجعل كل طاعن في الجماعة طاعنا في الإسلام بالضرورة، وهو باطل.

ويجعل كل معترض على أسلوب القيادة وتحالفاتها مع عدو مثلا أو سذاجتها وعقم حركتها في الواقع كأنه معترض على رسول الله!

ويجعل هذا الناقد بمنزلة أبي بن سلول المنافق، وهذا من أفسد القياس وأشنعه؛ فإما أن يسكت على ما يراه باطلا أو عقما سياسيا وحركيا وإما يكون منافقا.

ثم لو صرح هذا الناقد لبعض إخوانه بما يجده تجاه القيادة، تطلب من بقية الأعضاء أن يكونوا مخبرين نمامين (عصافير) ينقلون حديث أخيهم ويفضحونه!

بينما أبي بن سلول يبطن الكفر ويطعن في نبوة محمد ويكفر الإسلام باطنا، وهذا الناقد ليس كذلك ولم يأت شركا ولا كفرا بل ولا كبيرة أصلا.

نعم .. الحالة الوحيدة التي يجوز فيها ذلك النقل هي أن تتطابق مع حالة ابن سلول، ويظهر خبث شخص ما وطعنه في القرآن نفسه أو رسول الله أو حتى إثارة الشبهات حول دين الله.

أما لو اعترض معترض على ما ذكرنا أولا، فهذه الأصوات الناقدة هي صمام أمان ضد ديكتاتورية القيادة وتفردها، ثم هي تعود الأعضاء على تقليب وجهات النظر وشحذ العقول والنظر في كل الآراء وصولا للصواب، وهذا ما تفعله كثير من الشركات ومؤسسات البحث الغربية.

وأذكر أن من أسباب طرد بعض شباب الإخوان في ٢٠٠٦ وما بعدها أنهم كانوا يكثرون الاطلاع والقراءة والبحث، ومن ثم تتعدد عندهم الرؤى ويبدأون في طرح الأسئلة، تقريبا محمد إلهامي وأنس حسن من هؤلاء؛ فتم طردهم من الجماعة أو ضاقوا ذرعا بالتضييق عليهم وخرجوا.

مع أن هؤلاء الأشخاص ما زالوا متأثرين بطرح الجماعة وحركيتها بنسب تقل أو تكثر.

القصد أن هذا فعل قبيح من أي جماعة منتسبة للإسلام، ويجب إيجاد آلية لاستيعاب هؤلاء والاستفادة منهم، بل وحثهم على المزيد من البحث والتنقيب، فهم ثروات لجماعاتهم ينبغي المحافظة عليها ثم زيادتها وتوسيع رقعتها.

*****

٢٢- ليس في الإسلام ذلك الخط الفاصل بين السياسي والجندي والقائد، فكل مسلم هو جندي في المعركة مهما علت مرتبته واختلفت وظيفته.

*****

٢٣- بعد غزوة بدر قتل عمير بن عدي عصماء بنت مروان الكافرة التي كانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واغتال سالم الأنصاري أبا عفك اليهودي لطعنه في الإسلام، ولم يستأذنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ذلك وأقرهما الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأثنى على فعلهما.

فعلق الشيخ قائلا ص٣٤٧:

وهذا يعني أن من يستحق القتل في حربه المسعورة ضد الإسلام، وليس هو مجال شبهة في هذا العداء، وأقدم شاب على قتله، في الحرب المعلنة بين دولة الإسلام ودولته = فهو نصر للإسلام بظهر الغيب.

فزعماء الطاغوت اليوم الذين أشعلوا الحرب على المسلمين، قتلوا رجالهم و لم يستحيوا نسائهم، بل تجاوزوا فرعون الذي طغى، هؤلاء يتقرب إلى الله بدمائهم.

وما فعله شباب الإسلام في الحاكم (يقصد السادات) الذي تحدى المسلمين في الأرض؛ فصالح عدوهم اليهود في يوم عيدهم، حين قتلوا هذا الطاغية إنما غسلوا عار المسلمين جميعا.

*****

٢٤- بعد أن أمر رسول الله باغتيال ابن سنينة اليهودي .. قال لليهود:

(إنه لو فر كما فر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، و لم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف).

*****

٢٥- في حادثة انكشاف سوءة المرأة المسلمة على يد يهود بني قينقاع، لم يكن قتل المسلم فيها أمرا فرديا، بل كان تمالؤا عاما من اليهود وإعلانا بنبذ العهد منهم فلو كان حادثا فرديا لأمكن معالجته وقتل القاتل.

لكن الملأ من اليهود اجترؤوا وقتلوا، فأنزل الله تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين).

*****

٢٦- قال الشيخ (ص: ٣٦٩):

إن وسائل الإعلام اليوم تسد الأفق، ولا يأخذ الشعر إلا حيزا محدودا جدا منها.

فهناك الموعظة والخطبة والمقالة والأقصوصة والقصة والتعليق السياسي والتحليل الأخباري والأناشيد الحماسية، كل هذه ذات أثر خطير في الواقع الإعلامي.

إضافة إلى وسائل البث الإعلامي من إذاعة وتلفاز وجريدة ومجلة وكتاب وتسجيل سمعي وبصري. كلها غدت تتحكم في قلوب البشر وعقولهم وتفكيرهم، وتوجه قناعاتهم وتبني عقائدهم.

انتهى

قلت:

ذكرني كلام الشيخ هنا عن الأناشيد بشيء حدث منذ بضعة أشهر، كتب شاب في منصة ميدان/ الجزيرة اسمه محمد فتوح -سكندري انقلب على دعوته السلفية والتقطه أنس حسن- مقالة طويلة كلها سب في أناشيد الحركة الإسلامية، وأنها لا تدور إلا حول الجهاد والفداء والتضحية والصبر وتعد بالنصر على الأنظمة إلخ، وأن ذلك مما يقوقعها عن المجتمع ويبعدها عنه.

فللحركة الإسلامية أناشيدها المنفصلة عن المجتمع والتي تصفه بالانحراف وتستعلي عليه، ولذلك لا تنتشر أناشيدهم خارج الحركة على حد قوله.

ثم ذهب الألمعي يقارن بين أناشيد الحركة في الانتشار وبين أغنية الحلم العربي، وكيف غزت الأخيرة كل بيت!!

لا بأس عندي بنقد الحركة الإسلامية في أي جانب، ما دام نقد الحريص عليها الدافع لها للوقوف من كبوتها، وبشرط أساسي ألا يكون ذلك في مقابلة الثناء على شيء ينتمي للجاهلية كما فعل ذاك الشاب.

أناشيد الحركة الإسلامية القديمة والتي اعتمدت على شعر كثيرين كشعر الشهيد -نحسبه- هاشم الرفاعي وغيره من شعراء الحركة، كانت غرة في هذا الزمان، وفيها من ألق معاني الإسلام الأولى ما يسر كل ناظر، قبل أن يصيبها داء الحداثة في العقدين الأخيرين.

انظروا مثلا لأنشودة: مصعب بن عمير لأبي مازن، بلا موسيقى ولا مؤثرات، وهو يحكي قصة هذا الصحابي من البدء إلى الانتهاء، وهي من أكثر ما أثر في منذ زمن:

https://www.youtube.com/watch?v=٩W٥NkSCGf٨٤&feature=share

هذه المعاني السامقة، المفترض أن نتركها ونقول ماذا مثلا؟ أو نستمع لماذا حتى لا ننفصل عن المجتمع يا حضرة المتذاكي؟! محمد رمضان أم حمو بيكا؟!

المجتمع ينتشر فيه سب الدين والفسوق والفجور وترك الصلاة ، عشرات الأركان والواجبات المتروكة، ومئات المنهيات التي تمثل بنيته وداخلة في هيكله، تطالبنا الجزيرة ومنصتها بمداهنته وعدم الانفصال عنه بمفاهيم الدين الجديد وكأننا في عصر جاهلية الأوثان!.

ثم يقارنها بأغنية عرضت آلاف المرات على تلفاز الدولة، وصرف على تسويقها الملايين، كما كانت أغاني أم كلثوم وعبد الحليم في مدح الزعيم الخالد.

كما فعل شيخه الطرشجي أحمد سالم من قبل حين كان يجلد الإسلاميين: لماذا لا تفتحون مراكز لدعم المرأة؟!

طيب اطلب من دولتك المبجلة أن ترخص لنا ونحن نفعل فورا، أو اطلب منها ألا تعتقلنا إذا فعلنا.

كلام رخيص مبتذل .. وبئس زمان نضطر فيه للرد على الرخيص المبتذل.

*****

٢٧- تعرفون جميعا قضية الخندق، ذاك الأسلوب الفارسي في القتال الذي اقتبسه الرسول عليه الصلاة والسلام ونجح لأنه فاجأ العرب.

حاول عبد الله بن حنظلة في موقعة الحرة ٦٣ هجرية ضد قوات الأمويين استنساخ التجربة، وحفر الخندق حول المدينة؛ لكن قوات موسى بن عقبة - الذي يسميه السلف بمسرف بن عقبة لكثرة إثخانه وإسرافه في قتل المسلمين - اجتازته و لم يشكل عائقا.

فهل كل حركة يجب استنساخها، وكل أسلوب يجب اقتفاؤه..؟!

نحن مأمورون باقتفاء العقائد واتباع الآثار جزما وبلا مثنوية، أما الأساليب المحضة التي لا تعلق لها بالشرائع فنستفيد منها ولا نتقيد بها.

*****

٢٨- لقد رأينا الحركات الإسلامية حين تعتمد على الحرية الديموقراطية دون سند لها من قوة، ولو وصلت إلى بعض المواقع، لكنها سرعان ما تخسرها؛ لأن الباطل لا يرضى لها الغلبة وهو قادر على إزاحتها.

وتجارب الحركة الإسلامية من خلال منح وزارة أو إعطاء قطاع من القطاعات حرية محدودة سرعان ما ينهار ذلك العطاء، وتجتث تلك الثمرات. (ج ٣ / ص ٣٨)

*****

٢٩- فائدة نفيسة حول الاستدلال لحرية الردة بمنافقي المدينة:

أقوال وأفعال المنافقين، أو المخالفة للشرع بشكل عام، ليست على حال واحدة، فهي:

١- إما أن تكون سراً يتداولونها بينهم - وهذا هو الأصل والغالب -.

٢- وإما أن تكون ظهرت ونقلت للرسول - صلى الله عليه وسلم - لكنهم أنكروها، أو تابوا وتراجعوا عنها.

٣- وإما أن تكون نقلت للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم ينكروها ولم يتوبوا عنها، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك إيقاع العقوبة لمانع شرعي راجح.

٤- وإما أن تكون نقلت للرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينكروها، ولم يقم مانع، وتم إيقاع العقوبة.

فمثلا الرجل الذي جوّر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال إنه لم يعدل ولا أراد بقسمته وجه الله = ..

لا شك أنه مرتد؛ لأن هذا طعن في الرسالة المستلزمة للأمانة.

أما عدم قتل النبي صلى الله عليه وسلم له ونهي عمر وخالد عن ذلك: فالجواب عليه كما قال ابن حزم رحمه الله تعالى في المحلى (١١ / ٢٥٥):

"أن الله تعالى لم يكن أمر بعد بقتل من ارتد فلذلك لم يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك نهى عن قتله، ثم أمره تعالى بعد ذلك بقتل من ارتد عن دينه، فنسخ تحريم قتلهم".

وقال أيضاً فيه (٤١١/١١):

"أما القائل في قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذه قسمة ما عدل فيها ولا أريد بها وجه الله تعالى) = فقد قلنا أن هذا كان يوم خيبر، وأن هذا قبل أن يأمر الله تعالى بقتل المرتدين، وليس في هذا الخبر أن قائل هذا القول ليس كافراً بقوله ذلك" اهـ.

ولشيخ الإسلام كلام نفيس في تفصيل ما ذكره ابن حزم، كما في "الصارم" ص (١٨٩)، وكذا ص (١٧٨) و(١٧٩) وص (٢٢٠) و(٢٢٣) وص (٢٣٧) وص (٣٥٩).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(أن ذلك كان قبل أن يؤمر صلى الله عليه وسلم بقتل من أظهر نفاقه وكفره.

فقبل بدر حال ضعف المسلمين، كان صلى الله عليه وسلم مأموراً بالصبر على أذاهم والعفو عنهم في قوله تعالى: {ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم} [الأحزاب: ٤٨] ونحوه.

أما بعد بدر التي كانت بداية عز المسلمين فكان يقاتل من يؤذيه ممن لا مفسدة في قتلهم.

وأما بعد عز المسلمين بفتح مكة وكماله بغزوة تبوك ونزول براءة، فقد نسخ الله الصبر على أذاهم بقوله تعالى: {جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم} [التوبة: ١١٣] فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من أذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغيظه لعلمه بأنه يقتل إذا تكلم).

وعلى ذلك لا يصح أبدا قول القائل أن المنافقين كانوا يظهرون الكفر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقرهم ولا يقتلهم ولا يتعرض لهم، بزعم حرية العقيدة في الإسلام أو أي دعوى فاجرة من الدعوات المعاصرة.

قال ابن حزم في "المحلى" (١١ / ٢١٨):

(ومن ظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل من وجب عليه القتل من أصحابه = فقد كفر وحل دمه وماله لنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل ومخالفة الله تعالى.

والله لقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الفضلاء المقطوع لهم بالإيمان والجنة إذ وجب عليهم القتل كماعز والغامدية والجهنية رضي الله عنهم.

فمن الباطل المتيقن والضلال البحت والفسوق المجرد، بل من الكفر الصريح = أن يعتقد أو يظن من هو مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل مسلمين فاضلين من أهل الجنة من أصحابه أشنع قتلة بالحجارة.. ثم يعطل إقامة الحق الواجب في قتل المرتد على كافر يدري أنه ارتد.

إلى أن قال:

(ونحن نشهد بشهادة الله تعالى أن من دان بهذا واعتقده فإنه كافر مشرك مرتد حلال الدم والمال نبرأ إلى الله منه ومن ولايته) اهـــ.

والمبحث نفيس، وقد أطال رحمه الله تعالى فيه النفس وأورد كل آية وحديث فيه شبهة من ذلك، وبينها ورد عليها، فراجعه فإنه مفيد.

*****

٣٠- هل يستفاد من وثيقة المدينة المساواة بين المسلم والكافر في الحقوق والواجبات..؟!

هذه الوثيقة لا تصح سندا وغير موجودة في أكثر كتب السيرة .. لكنها عموما قد تبسط الصورة وتقرب وتكمل الفهم.

وفي السيرة يتوسعون في رواية الضعيف، ولذلك سنبني على القول بأنها صحيحة ثابتة، فنقول:

لا يوجد في الوثيقة أبدا ما يفيد ذلك.

ولا أعلم شيئا يدل على تقرير الإسلام لعقيدة جاهلية كالوطنية إلا استدلالهم الباطل الظالم بقول بعض السلف عن أهل الذمة: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، ومعلوم أن هذه القالة ليست على إطلاقها؛ لأنه لا يمكن أن يكون المسلم كالكافر فيما يجب له أو يمكن منه.

وإنما تطلق هذه العبارة ويقصد بها "الأمان" الواجب على الدولة نحو المسلم والذمي، وحماية عرضه وماله فقط، أما المفهوم العام فهو مفهوم باطل.

لم يسو الإسلام بين المسلم والكافر أبدا .. ولو كانا في بلد واحد وقرية واحدة.

من أكثر المسائل التي جرى فيها التحريف والتزييف عند جمهرة الإخوان ومن قرب منهم كمحمد عمارة وأمثاله أن المسلم كالكافر وأنه لا فرق بينهما في الحقوق والواجبات، وكل دين المواطنة يقوم على هدم ركيزة الولاء والبراء والتمايز من ديننا.

لا يسوي الإسلام بين المسلمين والكافرين بحال، بل يغرس في شعور المسلم معاني علوه واستعلائه بدينه على الكفار، وأنهم أقل منه منزلة:

عشرات الآيات التي تنفي المساواة بين المسلمين والكفار، كقوله تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار).

روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقتل مسلم بكافر".

وقال كما في الصحيح: "المسلمون تتكافأ دماؤهم" ويفهم منه أن غير المسلم دمه لا يكافيء دم المسلم.

قوله تعالى في أهل الذمة (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) سواء كانت الجزية هي الصغار، أم كان الصغار خارجا عنها.

إباحة الزواج من الكتابيات، ومنع زواج المسلمة من كتابي، لئلا تكون القوامة والعلو في البيت المسلم لكافر.

ما روي عن الصحابة في ضرب الصغار والذل على الكتابيين، مثل:

ما روي أن أبا موسى الأشعري استكتب ذميا فكتب إليه عمر يعنفه وتلا عليه (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم).

وقول عمر لأبي موسى في الكاتب النصراني: (لا تدلهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله).

وعن عمر – رضي الله عنه – قال: (لا تستعملوا أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى).

منع ترميم الكنائس القديمة، فضلا عن بناء الجديدة.

قال تقي الدين السبكي:

(إنه لم يكن قط شرع يسوغ فيه لأحد أن يبني مكاناً يكفر فيه بالله، فالشرائع كلها متفقة على تحريم الكفر، ويلزم من تحريم الكفر تحريم إنشاء المكان المتخذ له، والكنسية اليوم لا تتخذ إلا لذلك، وكانت محرمة معدودة من المحرمات في كل ملة، وإعادة الكنيسة القديمة كذلك).

وستجد تفصيلا رائعا لابن القيم في "أحكام أهل الذمة"، وحكاية تفريق العلماء بين ما مصّره المسلمون، وما لم يمصّروه هم.

النصوص التي فيها مختلف مظاهر استعلاء المسلمين على أهل الكتابين:

كقوله عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: "لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه".

وما رواه البخاري في "الأدب المفرد" وأبو داود مرفوعا: "لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم". فضلا عن: البابا وقداسة ونيافة.. إلخ.

منع خروج أصوات الكنائس خارجها، أو إشهار الصلبان في المجتمع، ولا ضرب ناقوس، ولا حمل خمر، ولا إدخال خنزير.. إلخ ما ورد في (الوثيقة العمرية).

هذا غيض من فيض مما ورد في ذلك الأصل المستقر الثابت الراسخ في شريعتنا، والذي له مردود سياسي واقعي بالطبع كمنعهم من الولايات وتقييدها كالإمامة ولو صغرى والقضاء ولو حكم بشريعتنا إلخ.

نحن لسنا متساوين في الحقوق ولا الواجبات، والفرق بيننا وبينهم على أساس الدين والملة وكل ما يترتب عليه.

*****

٣١- ذكر المؤلف رحمه الله في خاتمة الكتاب:

والهدف من عرض هذا المنهج الحركي هو أن تملك الحركة الإسلامية المعاصرة دليل عمل تسير على ضوئه وتبني خطتها على خطاه.

ولكن هذا لا يعني ضرورة التوافق والتطابق بين مرحلية الحركة الإسلامية اليوم ومرحليتها في السيرة النبوية، بل تعني في معظم الأحيان التشابه والتقارب؛ وذلك لاختلاف الظروف والأشخاص والأشياء بين عالمنا اليوم وعالم الدعوة الأولى .ا.هـ.

علق أحد الكتاب على هذا المقطع قائلا:

وهذه الفقرة الأخيرة كانت ضرورية وبها تتبين مسائل التحالف والاحتماء بالمشركين، ومسألة عدم الشك في القيادة عندما تخطيء، ومسألة تأليف قلوب أئمة الكفر بالمال على حساب الإخوة المؤسسين أو القواعد الصلبة بحجة أنهم مخلصون ويبغون الآخرة.. إلخ.

فالأشخاص والأشياء والنظم والمباديء والقوى التي تتحكم في الأفراد والمجتمعات والدول اختلفت وصارت أعقد وأكثر تركيبا.

فمثلا ما فعله أبو سفيان في عشرين سنة فعله أمثال بشار والسيسي في سنة أو أقل.

والعربي الذي كان لا يتنازل عن دم ناقته فضلا عن دم حليفه صار يتنازل عن دماء أبناءه وإخوانه ويبيع بني عشيرته بل يبيع نفسه بعرض من الدنيا قليل.

وقيادات بعض الحركات أو الجماعات الإسلامية كانت حصاد قراراتهم وتصرفاتهم مأساوية واتبعها الأفراد بحجة الطاعة والثقة بالقيادة.

والإخوة المتفانون في العمل والدعوة لهم أهل بحاجة لإعالتهم، ويحتاجون لمكان يسكنون فيه ومتطلبات الحياة كثرت وغلت أسعارها، بالإضافة إلى أسر الشهداء، وهذه المشكلة عانت منها جنود بعض جماعات الثورة السورية رغم كثرة غنائم وموارد الجماعات؛ وذلك بسبب أن الجماعة لم توازن في توزيع الموارد على مصارفها، بل لم تتبع السُّنة في تقسيم الغنائم فحرمت الجنود من سهمها، فكان القسم الأكبر يذهب للتسليح والأعمال الإغاثية، وتترك الجندي ينتظر بعض الإكراميات التي لا تفي بالغرض.

هذه بعض الأمثلة التي تجعلنا أن نفكر أكثر ونوسع مداركنا وعلمنا بالواقع ومن فيه والعوامل المؤثرة والظروف قبل أن نجعله في قالب أحداث السيرة.

*****

٣٢- بالنسبة لسؤال الأخ أبي سارة:

هل كانت سيوف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه في المدينة وحرابهم وأدوات حربهم كلها من صنع اليهود؟

كمعلومة محتاجة تفتيش واستقراء، لكن بشكل عام حتى الآن لم أجد أن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم بفكرة الصناعة الحصرية لأن الميزة الأكبر في التوفير والقدرة على الجلب موجودة، وتجد اتجاها عاما لعدم الالتفات لكل ما يعطل عن الهدف الأساسي حتى ولو كان بهدف ازدهار الاقتصاد، مثل الزراعة، فتجد أنه أبقى اليهود يزرعون خيبر حتى لا ينشغل أصحابه بالزرع واتباع أذناب البقر.

طيب وكون خباب بن الأرت كان صانع سيوف؟

بلا شك ستجد هناك أصحاب صنعة ولكن هذا لا يجعلهم مصنعين أساسيين، لكن الصانع يستخدم في الإصلاح والشحذ والتجهيز أكثر منه في الصناعة الحصرية والإنتاج الوفير.

هل كان الأوس والخزرج يخافون اليهود لأنهم صانعو السلاح؟

أظن ده من ضمن الأسباب، وفي سبب تاني محتاج لدراسة حيث (الخلطة) والتداخل المجتمعي وديون الربا وغير ذلك، لذلك لم يكسروا هذا الحاجز حتى استعانوا بأبي جبيلة من الشام.

وأبو جبيلة كان هاجر من المدينة قديما وسكن الشام وصار ملكا، ثم لما تشرس اليهود على الأوس والخزرج وأغرقوهم في الربا والديون والضرائب وأذلوهم .. ضاق العرب به ذرعا وقالوا نحن أكثر عددا .. فلماذا لا

نميل عليهم، فاستعانوا بقريبهم هذا في الشام فجاء بجيش وعدة وقهر اليهود فانقلبت الكفة لصالح العرب، وكان اليهود يتوعدون العرب بعد ذلك بالنبي الذي سيبعث فيقتلونهم معه قتل عاد وإرم.

ذكر هذا السمهودي في "وفاء الوفا".

وكما ذكرتم .. أسلحة المهاجرين من مكة .. وغنائم القبائل الأخرى من الأسلحة = لا يجعل اليهود هم المصدر الحصري للسلاح.

لكن عموما حتى لو كانوا من مصادره الرئيسية فالحصول على السلاح في هذه البيئة لم يكن صعبا ولا يشكل عائقا.

*****

٣٣- بالنسبة لقضية الضغط على الأسرى لاستخراج ما عندهم:

قد ورد مفاد هذا الخبر في صحيح مسلم وترجم له أبوداود بقوله: (باب: في الأسير، ينال منه، ويضرب، ويقرر).

وقال الخطابي في الكلام عن هذا الحديث: (وفيه جواز ضرب الأسير الكافر إذا كان في ضربه طائل) أي فائدة.

ويقول الإمام النووي، في فقه هذا الحديث أيضاً: (وفيه جواز ضرب الكافر الذي لا عهد له وإن كان أسيراً).

وهذه النصوص دلت على جواز التعذيب مطلقاً حتى يقرر الأسير بما عنده من المعلومات.

ولكن إذا أقر بما لديه و لم يرتج منه أكثر من ذلك فهاهنا لا يجوز لنا أن نعذبه وينبغي أن نعود إلى الأحكام الأصلية في عدم جواز تعذيب الأسرى هكذا جزافاً أو بقصد النكاية بهم.

وفي "مصنف ابن أبي شيبة" عَنْ عَلِيٍّ، أنه أُتِيَ بِرَجُلٍ سَكْرَانَ أَوْ فِي حَدٍّ، فَقَالَ: "اضْرِبْ، وَأَعْطِ كُلَّ عُضْوٍ حَقَّهُ، وَاتَّقِ الْوَجْهَ وَالْمَذَاكِيرَ".

قال السفاريني في "غذاء الألباب": "وَيَجْتَنِبُ: الْوَجْهَ، وَالْبَطْنَ، وَالْمَوَاضِعَ الْمَخُوفَةَ".

وجاء في "صحيح مسلم" عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ قال إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا).

وسُئِلَ الإمام مَالِكٌ رحمه الله تعالى عَنْ عَذَابِ اللُّصُوصِ بِالدُّهْنِ [كالقطران ونحوه] وَبِهَذِهِ الْخَنَافِسِ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَى بُطُونِهِمْ.

فَقَالَ: "لَا يَحِلُّ هَذَا، إِنَّمَا هُوَ السَّوْطُ أَوْ السِّجْنُ".

قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْت إنْ لَمْ نجِدْ فِي ظَهْرِهِ مَضْرَبًا أَتَرَى أَنْ يُسَطَّحَ فَيُضْرَبَ في أليتيه؟

فَقَالَ: "لَا وَاَللَّهِ مَا أَرَى ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الضَّرْبُ فِي الظَّهْرِ بِالسَّوْطِ وَالسِّجْنُ". ينظر: "تبصرة الحكام"، و"النوادر والزيادات".

قال ابن رشد في "البيان والتحصيل": "لا يصلح أن يُعاقَب أحدٌ فيما يلزمه فيه العقوبة إلا بالجلد والسجن الذي جاء به القرآن، وأما تعذيب أحد بما سوى ذلك من العذاب فلا يحل ولا يجوز".

وفي فتوى لهيئة الشام الإسلامية قالوا:

قال ابن تيمية في "الفتاوى": "فَهَذَا أَصْلٌ فِي ضَرْبِ الْمُتَّهَمِ الَّذِي عُلِمَ أَنَّهُ تَرَكَ وَاجِبًا، أَوْ فَعَلَ مُحَرَّمًا".

وقال ابن القيم في "الطرق الحُكمية": "وَيَسُوغُ ضَرْبُ هَذَا النَّوْعِ مِنْ الْمُتَّهَمِينَ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرَ بِتَعْذِيبِ الْمُتَّهَمِ الَّذِي غَيَّبَ مَالَهُ حَتَّى أَقَرَّ بِهِ". يقصد كنانة بن أبي الربيع

وقد روى مسلم في صحيحة أنَّ المسلمين ظفروا في غزوة بدر برجل من المشركين، ورجوا أن يرشدهم إلى قافلة أبي سفيان وضربوه للإقرار، ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

قال الشاطبي في "الاعتصام": " فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الضَّرْبُ وَالسَّجْنُ بِالتُّهَمِ؛ لَتَعَذَّرَ اسْتِخْلَاصُ الْأَمْوَالِ مِنْ أَيْدِي السُّرَّاقِ وَالْغُصَّابِ، إِذْ قَدْ يَتَعَذَّرُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ، فَكَانَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي التَّعْذِيبِ وَسِيلَةً إِلَى التَّحْصِيلِ بِالتَّعْيِينِ وَالْإِقْرَارِ.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا فَتْحُ بَابِ تَّعْذِيبِ الْبَرِيءِ!

قِيلَ: فَفِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ إِبْطَالُ اسْتِرْجَاعِ الْأَمْوَالِ، بَلِ الْإِضْرَابُ عَنِ التَّعْذِيبِ أَشَدُّ ضَرَرًا، إِذْ لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ لِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى، بَلْ مَعَ اقْتِرَانِ قَرِينَةٍ تَحِيكُ فِي النَّفْسِ، وَتُؤَثِّرُ فِي الْقَلْبِ نَوْعًا مِنَ الظَّنِّ".

*****

٣٤- أبرز ما في قصة زينب بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع زوجها أبي العاص بن الربيع ليس معنى الحب، وإن كان ظاهرا جليا، ولكنه معنى (الوفاء).

يؤسر زوجها في بدر، فتبعث بقلادها فداء له، وهو ما زال مشركا لم يسلم، لكنها رضي الله عنها لكمال الوفاء والبر الذي طُبعت عليه لم ترض له ذل الأسر.

وكان الرجل وفيا أيضا، فإنه كان تعهد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليه زينب، فوفى بوعده بعد أن أطلقه المسلمون.

ثم قبل فتح مكة أخذت سرية من سرايا المسلمين قافلة أبي العاص، وهرب هو، ولم يجد مكانا آمن من زوجه الوفية زينب، فصلت الفجر وقامت من بين صفوف النساء وصرخت: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم، وإنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم ذهب إليها صلى الله عليه وسلم فقال لها: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له.

وأسلم الرجل في نهاية المطاف، وعاش مع حبيبته الوفية حتى توفيت في حياة أبيها.

معنى الوفاء من أكثف المعاني الإنسانية وأعمقها، وهو مفقود كليا أو جزئيا في كثير من بيوتات المسلمين اليوم، وكذلك بين عموم الناس..

ما أحوجنا وأفقرنا إليه في هذه الأيام العجيبات.

*****